

بنات السويس

لم تكن السنوات الست التي أعقبت نكسة يونية 1967 سهلة أبدا على عموم المصريين ، ولما بصفة خاصة على سكان مدن القناة : بور سعيد والإسماعيلية والسويس . فقد أصبحت هذه المدن الثلاث فى مرمى نيران العدو المجاثم مباشرة على الضفة الشرقية للقناة . وقد راح باستخدام دانات مدافعه ودباباته ، وقنابل وصواريخ طائراته يهدم ويدمر كل المانى والمنشآت القائمة فى هذه المدن ، كما أحرق النخيل والأشجار والمزارع ، ولم يتورع عن القصف المباشر لمدن المساجد ، وأبراج الكنائس !

لذلك كان لزاما على الحكومة المصرية أن تصدر قرارا صعبا للغاية بإخلاء المدن الثلاث من سكانها ، وإعطاء كل أسرة مبلغا بسيطا من المال لكَتستأجر شقة صغيرة أو غرفة فى إحدى المدن أو القرى التى تختارها . والملاحظ أن معظم المصريين قد رحبوا بهم ، واحتضنوهم بكل عطف ومودة .

لكن الجو العام كان خانقا ، وطعم المرارة في حلوق الناس كان لاذعا ، لذلك اختفت المابتسامه من الوجوه ، كما توارت المنكته الى تميز بها المصريون ، وتواصل تقييد ساعات الإضاءة ، وكان رواد المقاهي يجلسون عليها ونفوسهم مسدودة عما يشربونه أو يدخنونه . أما المشوارع فقد تم إلزام سكان كل بيت بأن يقيموا أمام بابيه جدارا من الطوب والأسمنت ، وحوله العديد من شكاثر الرمل .

وكان بجوار شقتنا يحيى المدرب الأحمر شقة خالية ، استأجرها الأستاذ يونس له ولأسرته المهجرة من السويس : زوجة ، وأربع بنات ، كلهن شابات ، وضى سن الزواج . لكن أين المشبان الذين كان يمكنهم فى ذلك الوقت الإقدام على الزواج ، أو حتى التفكير به ؟! لقد جرى تجنيد غالبية شباب مصر فى الجيش ، وبعد تدريبهم ، تم إرسالهم على الفور إلى مواقع الاشتباك على جبهة القتال ، ولم يكونوا ينزلون فى أجازة إلا خمسة أيام من كل شهر .

فى تلك الفترة ، لم يكن الحجاب قد انتشر بين المفتيات فى مصر . فكانت بنات الأستاذ يونس يخرجن سافرات الوجوه ، منسدلات المشعر ، عاريات الأذرع بفساتين قصيرة . والواقع أنهن كن مع سميرتهن على قدر لا بأس به من الجمال .وقد أساء ذلك نساء المحى ، فكيف تخرج بنات السويس بهذا المنظر ، ويرجعن أحيانا فى وقت متأخر من الليل ؟! لذلك رحن يدفعن أزواجهن إلى ضرورة الاحتجاج على هذا الوضع ، حتى لا يساء لسمعة حى عريق ، مثل حى المدرب الأحمر !

وعلى الفور توجه وفد من كبار رجال المحى ، ومعهم شيخ الجامع ، إلى الأستاذ يونس فى شقته ، وكلموه فى الموضوع . ويقال إن الرجل أصغى جيدا لكل ما قالوه ، وودعهم باحترام بعد أن وعدهم خيرا . ويبدو بالفعل أنه تحدث مع بناته فى الأمر ، لأنه لم يمض يومان حتى وقفت ابنته الكبرى فى وسط الشارع تماما ، وراحت تصيح بأعلى صوتها :

— انا فقط أريد أن يخرج منكم رجل واحد ويقول لى : ماذا فعلته أنا واخواتى .. نحن يا أيها الكلاب أشرف من المشرف .. ومن يجرؤ أن يتكلم علينا أو حتى يهمس بكلمة واحدة تمس سمعتنا سوف أضربه بحدائى هذا على رأسه .. ثم خلعت حذاءها ، وراحت تدور فى مكانها ملوحة به . وأخيرا اقترب منها أحد أصحاب المحلات ، وهدأ قليلا من غضبها ، وقبل أن تدخل البيت التفتت إلى شبابيك المشقق المواربة وصاحت مستهزئة :

— لو أنتم فعلا رجال ، وفيكم نخوة كنتم ذهبتم إلى المقنال ، وحاربتم كرجال ! لم يستطع أن يرد عليها أحد من رجال المحي . كما سكتت النساء تماما . ومن يومها صارت بنات الأستاذ يونس يرحن ويجئن فى المحي بكل حرية ، حتى انتهت السنوات الست .